الحرب في الرواية النسوية العراقية في الخارج (٢٠٠٣ – ٢٠١٠)

د.داود سلمان العنبكي غادة جمال مكي
جامعة بغداد - كلية التربية للبنات - قسم اللغة العربية

الخلاصة

تناولت في هذا البحث تأثير الحروب التي مر بها الشعب العراقي في الرواية النسوية العراقية في الخارج ٢٠٠٣-٢٠١٠ ، إذ هيمنت هذه الموضوعة على الروايات النسوية العراقية في هذه المرحلة حتى صارت الموضوع الرئيس الذي تدور حوله الاحداث في روايات هذه المرحلة.

كما سلط البحث الضوء على اثر الحروب القاسية والمتواصلة في حيالانسان ونفسيته ولا سيما في حياة النساء – وهذه هي خصوصية الرواية النسوية – فقد ركزت الرواية النسوية العراقية في هذه المرحلة على اثر الحروب في نفسية النساء وما جلبت لهن من مصائب كنساء. فقد عانت المرأة العراقية من مرارة الفقدان التي تسببها الحروب بوصفه – أي فقدان – نتيجة طبيعية لها – فقدان الاب والابن والزوج والاخ والحبيب – وهذا ما سنحاول نبينه خلال البحث.

War in the Novels of Abroad Iraqi Women Between 2003 – 2010

Dr. Dawood Salman Al-Anbaki Ghada Jamal Maki
University of Baghdad- College of Education for Women - Arabic Language Dept.

Abstract

This research dealt eith the effect of wars experienced bythe Iraqi people in the abroad Iraq women novels between 2003 – 2010, where this issye dominated on Iraqi women novels at this stage until it became the main subject that events revolved aroud in the novels of this stage.

The research also highlighted on the impact of continuous tough wars in human life and psyche, especially in the lives of women – and this is the privacy of feminist novel – where the Iraqi women novels focused on the impact of war on psychological of women and what it caused of misfortunes as women. Iraqi women have suffered from the bitterness of the loss caused by war as – any loss – a natural of her – the loss of father, son, husband, brother and lover - . And that what well try to demonstrate on this research.

المقدمة

كان للـ (حرب العراقية – الايرانية) اثرها البالغ على طبيعة الرواية العراقية، التي اصطبغت بصبغة الحرب واحداثها فصارت الموضوع الرئيس قياساً بالموضوعات والمضامين الاخرى[١]، كما انها تفوقت على فنون الادب الاخرى كالشعر والقصة القصيرة والمسرحية، فقد صدرت في عضون ثلاث سنوات ستة عشر رواية، وقد بلغ مجموع الروايات التي قدمت للمشاركة في مسابقة روايات قادسية صدام اكثر من خمسين رواية[٢]،ونلاحظ ان القاسم المشترك بين جميع هذه الروايات هو المدة الزمنية التي كتبت فيها هذه النصوص، اذ انها كتبت جميعها في فترة زمنية معينة وهي فترة حكم النظام السابق (١٩٦٨-٢٠٠٣) فيمكن ان يتلمس القارئ وجود روايات قد انساقت كثيراً نحو الهدف التعبوي والدعائي والايدلوجي او غلب عليها ذلك ونسيت الاشتراطات الفنية والابداعية، ولكن هذا لا يلغي وجود روايات اخرى قد حققت الشرط الابداعي والفني فضلاً عن المضمون الانساني من خلال معالجة هذه الموضوعة المهمه، ويؤكد احد النقاد مسألة ((تعزز اشتغال الرواية في العراق على الحرب بفعل حرب الخليج الاولى وقد تضاعف هذا الاشتغال بفعل حرب الخليج الثانية ولان وسمت الدعاية بعض ذلك مما كتب في الداخل، فقد وسمت النقدية سائر ما كتب في الخارج. وفي الخارج ايضاً تعزز في العقد الاخير الاشتغال الروائي على الديكتاتورية، وهو ما تداخل في اعمال شتى مع الحرب. لقد اسفر ذلك عن مدونة روائية واسعة وخصبة ومتفاوته))[٣]. والادب الحربي الخالد هو ما تجاوز في طروحاته الجوانب الحماسية والتعبوية والدعائية والايدولوجية، وكان هدفه الاول التعبير عن التجربة الانسانية العامة وهي تتعرض لشراسة تجربة الحرب وهو ما نلمسه في الروايات الاجنبية (الحرب والسلم) و (وداعاً ايها السلاح) .....الخ.

اما رواية الحرب العربية – عامة – والعراقية – خاصة – فنلاحظ ان الكثير منها جاء على العكس مما جاء في الرواية الغربية فقد كان معبأً بالحماسة التعبوية والدعائية[٤]. ولكن الامر قد اختلف بعد سقوط بغداد، فنلاحظ ان الروايات

التي تناولت موضوعة الحرب كشفت عن زيف تلك الشعارات وتحدثت عن الحرب بوصفها الخراب والدمار الذي عم البلاد.

ونلاحظ تناول موضوعة الحرب لدى الروائيات يختلف تماماً عن تناوله لدى الروائيين، فهناك سمة نسوية مشتركة بين الروائيات اللواتي كتبن في رواية الحرب وهي ابتعادهن عن ساحات الحرب والجبهات والقتال والمعارك واكتفاؤهن ((بتجسيد اثر الحرب النفسي والاجتماعي والاقتصادي .. وما سواه، في حياة الفرد العراقي ومحيطه، ويعود السبب في ذلك، الى بعد الكاتبة بسبب كونها امرأة عن ميادين الحرب وساحاتها))[٥] وذلك نلاحظ ان الكاتبة هدية حسين على سبيل المثال حينما ارادت تصوير ساحة المعركة وما يحدث فيها في روايتها (ما بعد الحب) لجأت الى يوميات جندي عراقي عائد من الهزيمة بعد تحرير الكويت للشاعر علي عبد الامير[٦] ونقلت عنه هذه اليوميات او جزءاً منها كما هي.

ويرى الناقد نزيه ابو نضال ان التركيز على جانب المعاناة الانسانية والوجع الفردي نجده غالباً في الاعمال النسوية التي تناولت تجربة الحرب ولا يعني هذا ان رواية الرجل التي تناولت تجارب الحرب تخلو من الابعاد الانسانية ولكنها تركز عموماً على جوانب الصراع والبطولة والتضحيات من اجل الوطن والمبدأ[٧] لذا نتفق بالرأي مع الباحثة هديل عبد الرزاق بأن الكاتبة العراقية لم تكتب ادباً حربياً خالصاً، بحيث يدرج ادبها ضمن ما يسمى بأدب الحرب.- هذا يشمل اغلب النتاج النسائي – فالكاتبة العراقية وصفت موضوعة الحرب بوصفها عنصراً مؤثراً في حياة الفرد والجماعة ضمن موضوعات ومضامين اخرى مشاركة ومتداخلة بحيث يصعب الفصل بينها اذ حاولت الكاتبات ابراز الاثر الكبير للحروب القاسية والمتواصلة في حياة الانسان ونفسيته[٨]، ولا سيما في حياة النساء – هذه هي خصوصية الرواية النسوية – فقد ركزت الرواية النسوية العراقية في الخارج في هذه المرحلة على اثر الحروب في نفسية النساء وما جلبت لهن من مصائب كنساء. فقد عانت المرأة العراقية من مرارة الفقدان التي تسببها الحروب بوصفه – اي فقدان – نتيجة طبيعية لها – فقدان الاب والابن والزوج والاخ والحبيب – فكان لزاماً عليها تحمل المسؤولية بدل الرجل الذي اصبح غيابه عن المنزل امراً طبيعياً لطول الحروب.

وسنبدأ بمعالجة روايات الكاتبة هدية حسين لانها من ابرز الكاتبات اللاتي تناولن موضوعة الحرب واثرها على النساء واكثرهن انتقاداً للحقبة السابقة في رواياتها.

لقد اهتمت الكاتبة بمعاناة النساء بشكل خاص وركزت على المرأه بشكل ملحوظ حتى ان ابطال رواياتها من النساء – بإستثناء (مطر الله) –

ففي رواياتها (في الطريق اليهم) تروي لنا (أمل)- وهي بطلة الرواية التي فارقت الحياة وهي لاتزال طفلة لتعود بعد اربعين عاماً لتخبرنا عن قصة عائلتها وقصص من معها من الاطفال في المقبرة – معاناة اختها (صفية) وهي تبحث عن زوجها (مصطفى) ((تلمست طريقها لتبحث عن اجابة شافية لفقدان زوجها (مصطفى) الذي اختفى أثره اثناء المعارك بعد ان زرع في رحمها جنيناً ولد في خضم الايام الصعبة. وجاء الوليد بنتاً اطلقت علية اسم أمل احياء لذكراي))[٩] بسبب الحرب اختفى زوج (صفية) في زمن ((لم يعد فقدان الرجال أمراً غريباً في هذا البلد، قد يؤخذون من الجوامع اوالجامعات او الدوائر ... وأحياناً ينتزعون من اسرتهم، ومحظوظ من عاد بعد رحلة العذاب في الغرف السفلية من مديرية الامن العامة او احد السجون التي لا يعرف بها سوى القائمين عليها، محظوظ حتى لو خرج بروح مخربة))[١٠] وهكذا تستمر الكاتبة في الكشف عن الممارسات السلبية التي كان يقترفها النظام السابق بحق العراقيين فتروي لنا الكاتبة على لسان بطلتها (امل) اختفاء (ربيع) و (نور) شقيقي (فراس) – صديق امل في المقبرة – الاول اختفى بسبب تعاطفه مع السجناء السياسين الذين يعملون تحت اشرافه حين انتدب وهو المهندس المعماري للعمل في قصر الرئاسة الجديد. اما الثاني فقد اختفى لمحاولته ايصال الامر (اختفاء اخيه) الى منظمة حقوق الانسان بعد ان اتهم باختلاس مبالغ كبيرة من ودائع المواطنين ليحكم عليه بعشر سنوات ويودع في سجن ابي غريب، وما ان يخرج من السجن حتى مات بعد اقل من شهر بسبب جرعات السموم التي كانت تدس في طعامه بنسب قليلة[١١]. كما تخبرنا (امل) بإن ((ايقاع الحياة قد تغير فصار اسرع خطواً واكثر وطأة على الناس، اما الحاكم المبجل فأصبح اكثر عجرفه وفظاظة .. كلما ازدادت مصائب الناس قويت ارجل كرسيه))[١٢] اما (صفيه) فلم تيأس من عودة (مصطفى) وبقيت تكافح وتشقى لتربي ابنتها الوحيدة[١٣] التي ما تزال تمنيها بعودة والدها الذي لم تره سوى في الصورة المعلقة على الحائط. فتخبرنا (امل) الرواية ((صار عمر (امل) الصغيرة عشر سنوات ارضية او يربو على ذلك بقليل، تنظر الى الصورة المعلقة في غرفة الضيوف، تعرف انها صورة ابيها الذي لم تره، تنتظر اللقاء الذي سيجمعها ذات يوم وحين يستبد بها الشوق تلح على (صفية) :

١. اين بابا
٢. انه في السجن .. سيخرج يوماً

وكلما طال الوقت عاد السؤال ثانية :

١. متى سيخرج ابي من السجن ؟
٢. عندما يأمر (الرئيس) .

وبالبراءة ذاتها تسأل :

١. متى يأمر (الرئيس) ؟

فيأتي الجواب مبهماً على سنواتها العشر :

٢. عندما يعثر على ضميره الذي ضاع منه.

وقبل ان تهم أمل للاستفسار تطلب منها امها الكف عن الاسئلة، والاهتمام بدراستها لكي تسعد اباها عندما يعود .. تنكب امل على كتبها ودفاترها .. انها تقرأ من أجله، من اجل هاتين العينين اللتين تشعان بالبهجة داخل اطلر الصورة، ترسمه على اوراق ملونه محلوه نقل ملامحه لكنها تعجز فتمزق الاوراق، وتهزل صفيه كل يوم، أمل واه تعيش لاجله وتعرف انه كاذب))[١٤]. وهكذا تعيش (امل) محرومه من حنان الاب، وهذا ما سيفسر لنا في ما بعد سبب زواجها من (جبار منصور) الذي كان بعمر ابيها. كما تبين لنا الكاتبة اثار الحرب والحصار على النساء بشكل خاص فتخبرنا (امل) الرواية ان ((الحياة تبدلت في حينا واحياء اخرى كثيرة ... صارت اكثر قتامة واقل راحة، سلبت المباهج بالتقسيط دون ان ينتبه الناس لذلك .. حتى النساء اللواتي كن يضعن الكحل ويرتدين الثياب ذات الالوان المفعمه بالحيوية، والموديلات التي تبرز ثنيات الجسم ما عادت تثير اهتماماتهن، تبدلت الاذواق وصرن يرتدين الملابس ذات الالوان الداكنة والترابية، تخلين عن الاكسسوارات وطلاء الاظافر (كذا) واحمر الشفاه، بعضهن لذن بالحجاب ليس تقرباً الى الله وإنما من عبء مصاريف لا ضرورة لها في ظل الحصار))[١٥].

كما تخبرنا (امل) برعب الحرب واثرها حتى على الاموات ((توقفت الحرب، توقفت بعد سنوات، اخذت ما اخذت ولم تعط غير كمية كبيرة من قيح وخدوش شوهت وجه البلد، هدأت ارواحنا فترة طويلة حتى انفلتت من سكنيتها عندما بدأت الارض تهتز مع كل قذيفة تسقط عليها .. رعب اكبر، دمار هائل اكثر من ذي قبل كأن ابواب الحجيم انفتحت وقذفت بكل ما تحتويه مداراتها صاح صوت هادر مزق احشاء السكون :- انها الحرب ثانيةً هذه المرة تزعزت عظامنا حد الانسحاق))[١٦]. اما روايتها (نساء العتبات) فبالرغم من صدورها بعد ست سنوات من صدور روايتها (في الطريق اليهم) والتي صدر بعدها للكاتبة (مطر الله) الا ان هذه الرواية (نساء العتبات) هي بمثابة الجزء لرواية (في الطريق اليهم) وذلك لوحدة الموضوع ووجود نفس الشخصيات في كلتا الروايتين لذلك فهما رواية واحدة من جزأين وليستا روايتين ففي (نساء العتبات) تستكمل الكاتبة حياة (امل) بنت (صفيه) بعد زواجها من (جبار منصور)، ونرى ان عنوان الرواية جاء ملائماً جداً لمضمونها لان الشخصيات النسائية هي التي تمثل الروائية وليس فيها شخصيات من الرجال غير (جبار منصور) الذي فقد اثره خلال المعارك، اذ تدور احداث الرواية حول الحرب الاخيرة (حرب الخليج الثانية) التي كان من اهم نتائجها زوال النظام السابق، فنرى بطلة الرواية بالرغم من الفرار – من العراق الى عمان – بأمر من زوجها الضابط تتابع ما يجري في العراق من اخبار الحرب التي لم تفارقها من خلال شاشة التلفزيون التي واظبت على الجلوس امامها وتسجل كل ما تنطق به وكالات الانباء عن اخبار العراق وما يجري فيه مع خادمتها (جمار) التي لا تكف عن انتقادها للرئيس السابق وتوجيه اللوم اليه وهي لا تزال تسترجع ذكرايتها عن الحروب السابقة التي مرت على العراقيين وغيرت حالهم واصابتهم بالفقر والحرمان وترى (جمار) ان (((هذا الرجل) اشعل الحروب وخلف المآسي وجعل في كل بيت مأتم، وضحاياه ولا تعد ولا تحصى (...) ثم يقولون بسبب اسلحة دمار ... (هو) دمرنا بأسلحة وبدون اسلحة))[١٧] اما (امل) فبعد ان ((تنطفئ شاشة التلفزيون على اخر الضحايا))[١٨] تضئ شاشة راسها فتكشف اكثر من ضحية على عتبة دار والدتها (صفيه) التي كانت تضم مجموعة من النساء المنكوبات ابتداء من (صفيه) والدتها و(ام عدنان) و(صبريه) و(فطومه) وانتهاء ببقية جوقة الاحزان. اذ تتناول الكاتبة في هذه الرواية حياة مجموعة من النساء اللاتي فقدن ازواجهن او ابناءهن بسبب الحروب فجمعتهن وحدتهن للجلوس على العتبات وسرد حكاياتهن ((التي تقطر حزناً وتذوب حسرة على الرجال الغائبين))[١٩] فـ كل ((واحدة منهن كانت تطارد وهماً على هيأة رجل، وكلهن يتسابقن لسرد الاحزان ولمعرفة ايهن اكثر حزناً من الاخرى، مساحة الفرح ضيقة في حياتهن، الى الحد الذي اصبحت مثل خرم الابرة، بينما تتسع يوماً بعد يوم دائرة احزانهن))[٢٠] وتستذكر (امل) ((تأتي النساء تباعاً تخرج احداهن من البيت حاملة صينية الشاي او صحن حب البطيخ، يكررن الكلام نفسه او يضفن عليه او يتذكرن حكايات كانت غاطسة تحت جلودهن))[٢١] كما تبدأ (امل) بأسترجاع معاناة والدتها التي ما انفكت تبحث عن زوجها الاستاذ الجامعي الذي اختفى اثره خلال (الحرب العراقية – الايرانية) فتتساءل (امل) ما الذي ((جعل امي تتمسك بحلم باهت وتنثر احزانها على الطرقات والمسالك الوعرة، بين المنظمات الحزبية ومراكز الشرطة وقواطع الجيش الشعبي والمستشفيات ومنظمة الهلال الاحمر ثم على عتبات البيوت الخاوية ؟ (...) لماذا صنعت من حزنها قلادات وطوقت جيد شبابها فذوى ؟ هل كان ابي يستحق منها كل هذا العذاب؟))[٢٢] ثم تروي لنا (امل) معاناة باقي النساء اللاتي يجلسن مع والدتها على العتبات، وفي كل ليلة تتمدد (امل) مع (جمار) بعد ان زالت الفوارق الاجتماعية بينهما ((تمددنا على السرير انفتحت كوة في رأسي))[٢٣] لتروي لها حكاية عن احدى نساء العتبات، فتروي لـ (جمار) حكاية (ام عدنان) ((وما هي حكاية ام عدنان؟

ام عدنان امرأه على اعتاب العقد السادس لم تكن داخل البيت حينما سقط صاروخ على منزلها فقتل زوجها، وكانت الحرب في سنتها الاولى مع ايران، (...) اما عدنان فقد درس الكهرباء في ثانوية الصناعة وصار المعيل فتركت ام عدنان البيع والشراء، وبعد سنوات قتل في حرب الكويت فعاشت براتبه التقاعدي وصارت دارها ملاذاً للنساء الموشومات بالقهر، اللواتي تجاوزتهن الحياة وتخمر الخزن في جلودهن))[٢٤] وهكذا افتقدت (ام عدنان) زوجها وابنها بسبب الحروب. اما حكاية (فطومه) فهي لا تختلف كثيراً عن قصة (ام عدنان) فهي الاخرى فقدت كلا ولديها للسبب نفسه ((- كان لي ولدان، ربيتهما بدموع العين بعد وفاة زوجي، قتل الاول في معارك شرق البصره في السنة الاولى للحرب مع ايران فكرموني واطلقوا علي لقب (ام الشهيد) وفي السنة الاخيرة من تلك الحروب رفض ولدي الثاني الانضمام للجيش الشعبي، كان قد انهى قبل شهرين خدمته العسكرية واراد اكمال دراسته))[٢٥] فأعتقل في البيت بتهمة التخاذل واعدم بعد شهر وطلبوا من (فطومه) الحضور لتسلم الجثه ليخبرها الضابط ((- الان انت ام الخائن، هيا، لا اريد هذه الزبالة))[٢٦] لتندفع اليه (فطومه)

وتغرز اظافرها في وجهه ((انت الزبالة وابن الزبالة))[٢٧] وبعدها غابت عن الوعي وبعدان فاقت وجدت نفسها في احد المستشفيات ((امروني بالخروج، لا اعلم اين اخذوا جثة ولدي، ولم ابق في بيتي سوى يوم واحد، في اليوم التالي هوى البيت امام عيني خلال دقائق اخذت الجرافة معها كل شئ حتى الذكريات))[٢٨]. وهكذا تستعرض لنا الكاتبة ممارسات النظام السابق ومقدار الآلآم والمعانات التي سببها للنساء فتتسائل (ام عدنان): ((- من اين جاءت كل هذه المصائب وسقطت على رؤوسنا ترد (فطومه): كلنا نعرف من اين جاءت لكننا نريد الحفاظ على ألسنتنا من البيتر))[٢٩]. وترى الكاتبة هديه حسين ان كره الشعب العراقي للنظام السابق هو نتيجة حتمية لكل الجرائم التي اقترفها بحق العراقيين. وتعلل لنا الكاتبة سبب تضارب مشاعر (امل) تجاه الرئيس السابق بالرغم من كونه السبب المباشر في فقدان والدها ومعاناة والدتها من خلال حديثها مع خادمتها (جمار) ((ست امل ... انا حتى الان لا اعرف ... هل تحبين الرئيس ام تكرهينه ؟

٣. والله يا جمار لا ادري ... حقاً لا ادري. (...)

لم اسأل نفسي هكذا سؤال، بالرغم ان رأسي ما يزال يخزن كره امي وحقدها على النظام برمته .. كل واحد يا جمار له سبب في الحب والكره))[٣٠]، فأنا لا ازال أتذكر العبارة التي كانت ترددها أمي من وقت لاخر ((عفريت الحروب يتلبس الرئيس، وسيضيع الاف الاباء مثلما ضاع ابوك))[٣١] وتستغرب (جمار) من موقف (امل) وتقول لها:

((- هذا يحتم عليك ان تأخذي جانب امك، ام ان زواجك من السيد جبار جعلك متأرجحة؟

٤. ربما انا لا اعرف ظروف فقدان ابي لانه حين اختفى كنت في بطنه (...) اوه يا ست امل، انت صغيرة، لو عشت حياتنا نحن الفقراء لتوصلت الى قرار نهائي بأنه سبب جميع مصائبنا))[٣٢].

وهكذا تعطينا الكاتبة سر تضارب مشاعر (امل) تجاه الرئيس السابق وهو صغر سنها، فهي لم تع ما عاناه الشعب العراقي من اذى وظلم وجوع وتضييق للحريات، ففي حرب ايران كانت لا تزال طفلة صغيرة[٣٣]، وعندما كبرت سرعان ما اقترنت بـ (جبار منصور) الضابط في الحرس الجمهوري الذي حقق لها كل ما حلمت به وما لم تحلم به فضلاً عن معاملته الحسنه لها فلم تشعر يوماً انه من الممكن ان يكون جلاداً كما وصفته والدتها (صفيه) في يوم من الايام. ((اسمعي ! العسكريون اما جلادون إما ضحايا .. ولا اطن هذا الذي يحمل النجوم الزائفه على كتفيه يمكن ان يكون ضحية))[٣٤] اما (جمار) فلكونها امرأه كبيرة في السن وقد اخبرت الحياة مثل (صفيه) وشهدت كل الاحداث الماضية التي شهدها العراق في ظل حكم الرئيس السابق فكان لابد لها ان تكره الرئيس، اما (امل) فنراها تدافع عن نفسها امام الكاتبة التي عابت على اصرارها الزواج من رجل كبير في السن مما جعل والدتها (صفيه) تموت كمداً وحسرةً على ابنتها. ((ربما كنت ابحث في جبار، دون وعي عن صورة ابي المفقوده بعد ان عجزت عن التواصل مع شبان في مثل سني .. ولكن الصحيح ايضاً انني مللت حكاية الاب الذي لم اره الا في الصورة المعلقة على جدران الصالة، وسئمت من ثرثرات امي وصاحباتها عن فقدان الرجال في حياتهن .. وهذا مالم تتعمق فيه الكاتبة بل مرت عليه مروراً عابراً))[٣٥]. اما روايتها (ما بعد الحب) فنرى الكاتبة تحدثنا عن الحرب في بعدها الانساني والاجتماعي وما تركته من اثار نفسية مدمرة في الشخصية العراقية، فها هي الحرب قد امتصت عصارة الحب من قلب (يوسف) وسرقت من عمره الكثير من السنوات وحولته الى شخص غريب الاطوار يثور لاتفه الاسباب او دونما سبب، فنراه يخاطب والدته وقد قلبت الحرب كل مفاهيمه وقيمه في الحياة.

((- انها الحرب يا امي .. لم اعد كما كنت.

لماذا لا تتزوج يا ولدي، انت وهدى متحابان ؟

- هل تريدينان انجب حطباً للحروب القادمة؟))[٣٦]. وهكذا اصبح الخوف من الحرب هاجساً في نفوس العراقيين وكأنها مرض مزمن علق بهذا الشعب ويستحيل الشفاء منه. فنرى (عزيزة) التي كانت تعمل مع (هدى) و(نادية) في مصنع الامل تتمنى الزواج من عربي ليخلصها ((من عذابات الحياة الشاقة ومن هذا البلد اللعين، بلد الحروب التي لا تنتهي))[٣٧]. وتخبرنا (هدى) عن مقدار الالم الذي يحمله (يوسف) بداخله حين يحدثها عن الحرب ((كانت سحنته وهو يحكي عن الحرب تتغير وعيناه تتقدان احمراراً، ارجوك – قلت له – دعنا من الحكايات التي اصبحت مجرد ذكرى .. وشئ من الماضي لكنه استمر وروحه تقطر ألماً : - احلى سنوات العمر ضاعت في الحروب عركناها بالخوف والشجاعة معاً. حفنا عند اشتداد المعارك فحافظنا على بقية العمر، وامتلانا بالشجاعة لاننا مجبرون على ذلك .. ولكنها شجاعة خالية من الشهامة .. ان تقتل انساناً فأنت مجرد ممن انسانيتك .. انساناً مثلك يتأرجح على خيط الحياة والموت، ويصوب اليك السلاح حفاظاً على حياته كما تفعل انت .. انت وهو عندما تجيدان التصويب فأنكما تدميان عمر الانظمة التي تقود ابناء الوطن الى المحرقة))[٣٨] ولم تكن حال (موسى) حبيب (نادية) بأفضل من حال (يوسف) فهو ايضاً شارك في هذه الحروب حتى انه كتب معاناته في تلك الفتره وطلق عليها (يوميات جندي عائد من الهزيمة)وتصف لنا (هدى) حاله وهو يحدثها عن تلك الفتره ((كان شاحباً وعميق الحزن، راح يفرك كفيه كما لو انه يعاني من تشنج وبدت نظراته قاسية فشعرت بأنني انكأ جراحه .. ثم استل سيجارة وراح يدخن بعصبية))[٣٩]. وتحدث (هدى) نفسها ((مئة ساعة من قلق ورعب تحت اعنف قصف لثلاثين دولة انه الحجيم والعراقيين الحطب .. قصف مركز .. قصف عارم .. سؤال لا تجد له جواباً .. لماذا تعنت الرئيس اذا كان يعرف انه سينسحب من الكويت ؟ سؤال مجته الافواه وبصقته قبل قيامة الحرب))[٤٠]. وكان من اهم نتائج هذه الحرب الدمار الاقتصادي الذي عم البلاد بسبب الحصار الذي فرضته الدول الكبرى على العراق بعد (حرب الخليج الثانية) ((من قال ان السلطة تريد رفع الحصار؟ انها تبتكر المزيد من الاساليب لتبقى المعاناة على هذا الشعب الذي رفض النظام في اكبر واوسع انتفاضة بعد تحرير الكويت .. ولذلك ما يزال الناس في المحافظات الجنوبية يشربون ماء ملوثاً حتى الان .. انه عقاب جماعي .. حصار من الداخل يفوق حصار الدول الكبرى))[٤١]. هذا ما تخبرنا به (هدى) الراوية وتستمر الكاتبة

بأنتقاد الحقبة السابقة خلال فصول الرواية، فتذكر لنا عن طريق (هدى) الرواية الكيفية التي قتل بها عم (نادية) وشقيقها فقتل الاول في الايام الاولى من الانتفاضة اما بيت (نادية) لانه ((حاول سحب جثة مرمية علة عتبة الدار، واعتبر في عداد الساخطين على النظام))[٤٢] اما الثاني فقد اعدم لان احدهم دس في بضاعته عدد من كروسات السجائر الاجنبية الممنوعة تداولها[٤٣]. اما روايتها (مطر الله) فبالرغم من كون احداثها تبدأ بداية الستينيات تقريباً وتنتهي بعد سقوط بغداد وما تلاها من احداث لكن الكاتبة تسلط الضوء على ما تركته الحرب الاخيرة (حرب الخليج الثالثة) من دمار وخراب فاق كل التصورات اذ يستيقظ السيد (مهران)بطل روايتها من غيبوبته التي دامت لسنوات طويلة ليرى القتل العشوائي وتهجير العوائل والخراب والدمار، ولا تنسى الكاتبة ان تقارن بين ما يجري اليوم في العراق من احداث بما جرى في الماضي من خلال الحديث الذي دار بين مجموعة من الرجال في احد مقاهي بغداد وكان السيد (مهران) جالساً هناك لتلتقط اذناه الكلام من هنا وهناك ((سمعت الكثير منمما يدمي القلب .. احترقت مكتبات وسرقت اثار، نزلت مليشيات الى الشوارع، وهجرت عوائل، اختفى الابناء واختطف الكثير من الرجال والنساء في وضح النهار .. قال رجل كبير في السن: المشكلة ياجماعة اننا كنا في الماضي نعرف عدواً واحداً يشعل الحروب ويأخذنا حطباً لها، ويستل الابناء ويخفيهم في سراديب الامن، او يدفنهم في مقابر جماعية في الصحراء، اما الان يا جماعة فلا ندري من اين انبثق كل هؤلاء الاعداء، ولماذا يقتلون الابرياء هل يعقل ان يقتل الكناسون وصباغو الاحذية والباعة المتجولون وبائعو الشاي والحلاقون وعمال البناء واصحاب البسطات وعلماء البلد وطلاب الجامعات والرياضيون والفنانون؟ بأي عرف او دين يحدث هذا))[٤٤] ونستنتج من هذا الكلام ان الكاتبة تريد القول ان كان عراق اليوم ليس بأفضل من عراق الامس وهو ليس اسوء منه، ففي السابق كانت كل الجرائم تقترف بأسم النظام السابق فكان عدواً واحداً معروفاً للجميع اما اليوم فمجموعة من الاعداء المجهولين.اما في رواية (غايب) لبتول الخضيري فتدور احداثها خلال (حرب الخيج الثانية) وما تلاها من احداث، اذ تتناول الرواية معاناة الشعب العراقي في ظل الحصار الذي فرضته الدول الكبرى على العراق بعد هذه الحرب، اذ نستمع الى خالة (دلال) وهب تقول: ((- سنة ١٩٨٠ اندلعت حرب ثماني سنوات مع جارتنا ايران. لم نكد نحتفل بوقف اطلاق النار حتى قررت الحكومة عزو الكويت سنة ١٩٩٠ فبدأت حرب الخليج. يا ألهي، الاجانب يقصفونا ثم يتوجون عملياتهم بحصار غير معلوتة نهايته ! ايعقل ما يحدث لنا يا جماعة ؟!))[٤٥] وتستمر الرواية في المقارنه بين الزمن الماضي ، زمن الخير – كما يسميه العراقييون – وزمن الحصار الذي يعيشونه والموسوم بتردي الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.فتنتقدت الكاتبة هذه الاوضاع عن لسان بطلة روايها (دللال) فتخبرنا بأنها خرجت من البيت برفقت زوج خالتها وقد مرا ((بمحل كان لبيع لحويات. السكر مفقود. لذا تحول الى محل لتنضيف الملابس بالغسيل الجاف. يسمونه (درب التجار). في هذا الشارع اختفى في ليلةً واحده، وبشكل عجيب عدد من تجار السكر والطحين. اتهموا بتخريب اقتصاد البلد، لاحتكارهم المواد الغذائية الرئيسة، وتلاعبهم بأسعارها في السوق المحلية. بعد اعدامهم، صدر عفو عام متأخر بحقهم !))[٤٦]. اما في روايتي (سواقي القلوب) و(الحفيدة الاميريكية) لانعام كجه جي فأن الكاتبة تتناول موضوع الحرب في كلتا الروايتن.فالرواية الاولى تدور احداثها في لندن خلال الحربين (العراقيه – الايرانيه)، و(حرب الخليج الثانية) اما الرواية الثانية (الحفيدة الامريكية) فأن احداثها تدور خلال الحرب الاخيرة (حرب الخليج الثالثة) والتي كان من اهم نتائجها سقوط بغداد بعد زوال النظام، وكلتا الروايتين لا تخلوان من انتقاد النظام السابق، فالرواية الاولى (سواقي القلوب) تتناول حياة خمسة عراقيين يعيشون في المنفى (لندن) خلال الثمانينيات والتسعينيات اي خلال الحربين (العراقية – الايرانية) و (حرب الخليج الثانية)، (٤٤) وعادةً ما كان هؤلاء يتحلقون حول مائدة (كاشانية خاتون) برفقة النبيذ والهموم لمتابعة اخبار الحروب خلال المذياع فيخبرنا الراوي – بطل الرواية – ان ((مع تمدد سنوات الحرب واستمرار طاحونة الشهداء، تملكنا اليقين بأن الوطن يضمحل ويتسرب من بين الاصابع كقبضة من الدم، وان المسافة بيننا وبينه صارت برزخاً يتعسر عبوره))[٤٧] وشاءت الاقدار ان يستشهد شقيق (زمزم) في جبهة الفاو فيتلقى (زمزم) مكالمة هاتفية من ابيه يدعوه للعودة للبلد بسرعة لضرورة وجوده وسط الاسرة المفجوعة، فيخبرنا الراوي ((كانت تلك اولى الزيارات الكثيرة التي صار فيها زمزم رسولنا الى وطننا وسفيرنا الى اهلينا. نلقنه الرسائل الشفهية، وهي الاهم،ونكتب الى جانبها مكاتيب ورقية على سبيل التمويه، نختمها بعبارات التمجيد للقائد والدعوات له بالنصر في حربه ضد الفرس المجوس .. محفوظات يعرف الاهل انها ليست لهم، للقريب الذي يفتش الجيوب، ولو تسنى له لفتش القلوب))[٤٨] فيدعو الراوي للقائد بالنصر في حربه ضد المجوس بالرغم من قناعته ((بأنها الحرب الخطأ في المكان الخطأ))[٤٩]. ففي هذهالرواية تبين لنا الكاتبة انعام كجه جي الخوف والرعب اللذين يسببهما النظام السابق في نفوس العراقيين ليس فقط للذين هم داخل العراق بل حتى للذين هم خارجه فلم يتخلصوا من ظلم النظام وبطشه، فيخبرنا الراوي عن مطاردات ازلام النظام السابق لصديقه البعثي (زمزم) الخارج على حزبة ومن ثم (ساره) ومحاولتهم لكسبها لتتجس على عراقي لندن فهم يراقبون كل عراقي في الخارج حتى بات العراقي يخاف ان يقترب من مبنى السفارة العراقية في لندن، بل وحتى الشوارع القريبة منها فهم يتجسسون على اي شئ وكل شئ. كما سيخبرنا الرواي حول تضارب اراء عراقيي لندن عند دخول العراق الكويت مصرحاً برأيه، ((بدأت طبول حرب جديدة تقرع فوق رؤوس العراقيين وهم لم يمسحوا، بعد، وعثاء حرب مضت. لكنها السياسية الرعناء التي تهزأ بالمصائر طالما ان اولاد الخايبة هم من يدفع الثمن))[٥٠]. كما يخبرنا رأي صديقه (زمزم) عن هذه الحرب الذي يلقبه بـ (حنقباز السماوه) ((وركبت حنقباز السماوه حماسه جعلته لا يستقر على رأي. هو مع الحرب وضد الحرب، مع الامريكان وضد الكويتين، مع العراق وضد صدام .. ولم تكن حالتي بأفضل منه، غير ان بوصلتي لم تتذبذت كثيراً ولم تخني في لحظات الشك))[٥١] كما ان الخوف من الحرب بدأ يطال حتى العراقيين اللذين في الخارج، فيخبرنا الراوي ((بدأنا نسمع اخباراً عن طلبة العراقيين يفصلون من الجامعات

الفرنسية، واشاعات عن معسكرات تعد لعزل ابناء جاليتنا، على غرار تلك التي اقامها الامريكان لليابانيين اثناء الحرب العالمية، وتقرأ عن سفراء يهربون من سفاراتهم))[٥٢] ولكن الراوي يرى ان كل ذلك لا يعني شيئاً ذا بال لان ((المحنة الحقيقية هي هناك، حيث ستسقط القنابل على شعب اعزل وعلى جنود منهكين لم يشبعوا من احضان نسائهم ولا من خدود اطفالهم))[٥٣] فها هي الحرب لا تجلب سوى الخراب والدمار، اينما حلت وحيثما ذهبت.

اما في روايتها الثانية (الحفيدة الامريكية) فنرى ان الكاتبة قد تناولت الحرب الاخيرة (حرب الخليج الثالثة) ولكن بطريقة مختلفة فهي لم تجعلها هدفاًلانتقاد النظام السابق كما فعلت في (سواقي القلوب) ولكنها ركزت على ما افرزته الحرب الاخيرة (حرب الخليج الثالثة) من تناقضات كأنها تريد القول ان انتقادها للنظام السابق في رواية (سواقي القلوب) او انتقاد شخصياتها لا يعني قبول ما حصل في العراق بعد سقوط بغداد ودخول القوات الامريكية واحتلالها العراق. فالعراقيون يرفضون الاحتلال كرفضهم للنظام السابق وهذا ما اوضحته الكاتبة من خلال شخصيات روايتها (مهيمن) و (حيدر) اللذين ينتميان لجيش المهدي ووالدتهما (طاووس) والجده (رحمه) التي تمثل العراق بكل عقبه واصاله والتي ترفض الدخول الى المعسكر الامريكي عند زيارتها لحفيدتها (زينة)، وتمتنع عن الاكل او الشرب فيه. ونرى المجندة الامريكية (زينة بهنام) تعترف بوجود المقاومة فهي تخبرنا عن طبيعة الاوضاع بعد سقوط ((جئ بلواء الذيب للسيطرة على الوضع كان هذا اللواء من تشكيلات الجيش العراقي الجديد. الفرق التي شكلناها للعمل مع دورياتنا تلاحق العصاة من شارع الى شارع على امل اعادة النظام الى المدينة. نسميهم العصاة والمتمردين، الارهابيين، المجرمين،عناصر الشغب كل الصفات صالحة لكي لا تقول المقاوم))[٥٤]. كما تخبرنا (زينة) عن الانتحاري الذي دخل قبل العيد الى صالة الطعام في المعسكر الامريكي وهو يلف نفسه بحزام ناسف وسط الجنود الذين يتناولون الطعام، واعلان احدى الجماعات الدينية المحلية مسؤوليتها عن التفجير وهللت له بأعتباره من اعمال المقاومة[٥٥]. كما تخبرنا عن حال العراق بعد الحرب وما شاهدته من خراب عند وصولها الى الموصل ((رايت عند وصولي الى الموصل، فلتاناً عجيباً. مراكز الشرطة مقفلة ومضروبة، وعشرات الملثمين يسرحون في الشوارع. أهذه هي المدينة التي يرف قلبي عند ذكر اسمها))[٥٦] وهكذا تستمر (زينة) في سرد ما تشاهده في العراق من احداث وكل ما يجري ايضاً داخل المعسكرات الامريكية، ولا شك في ان عمل الكاتبة في الصحافة قد مكنها من ضخ عدد كبير من المعلومات والارقام والبيانات الواقعية التسجيلية في روايتها، فهي تنقل لنا ادق التفاصيل عن حياة الجنود الامريكين داخل المنطقة الخضراء في ما يخص رواتبهم ومأكلهم وملبسهم واحاديثهم ووجهة نظرهم عن هذه الحرب وحتى احصائيات دقيقة عن عدد القتلى والمفقودين وكل ما يدور داخل معسكراتهم فكأن الرواية فلماً وثائقياً عن العراق والجيش الامريكي بعد سقوط بغداد اخرجته الكاتبة بأسلوب فني رائع.

اما روايتا (الحدود البرية) و (نبوءة فرعون) لميسلون هادي فقد تطرقتا لموضوع الحروب وما تتركه من آثار ولكن لم تكن هذه الحروب الثمينة الرئيسية للرواية ففي (الحدود البرية) نرى (بيان) تخبرنا عن مخاوف الناس وتساؤلاتهم حول الحرب الاخيرة (حرب الخليج الثالثة) ((القوات البرية والبحرية كانت تتواتر من امريكا في خط مباشر الى الكويت، واذاعات العالم بدت لا شغل لها غير اخبار العراق وتوقعات ما سيحدث في العراق (...) كانت نوبة من نوبات الحمى في تلك الايام هي الاستماع الى تلك الاذاعات، كما كانت لازمة افتتاح اي حديث بين اثنين هي:

٥. ها؟ ماذا تتوقع؟ هل ستضرب امريكا؟ (.....)
٦. اذا ضربت امريكا ماذا سيحدث؟))[٥٧] فتخبرنا (بيان) ان لا احد كان يتخيل ماذا سيحدث فتضاربت الاراء ((امريكا ان ضربت العراق ستمحوه بقنبلة ذرية واحدة .. وامريكا ان ضربت العراق ستعيده الف سنة الى الوراء .. وامريكا ان ضربت العراق ستحيله تراباً .....))[٥٨] اما في رواية (نبوءة فرعون) فنرى (بلقيس) تنجب ولدها (يحيا) في ليلة كانونية مظلمة في الوقت الذي كان فيه ابوه (منصور) ((يخوض في المياه الطامية بين ارض الكويت وارض العراق))[٥٩] ونرى الكاتبة تتناول في هذه الرواية ما افرزته هذه الحرب من فقر وخراب اقتصادي بسبب الحصار الذي فرضته الدول الكبرى بعد حرب الخليج الثانية ونرى الكاتبة لا تنتقد النظام السابق بصورة مباشرة ولكنها من خلال المقارنة بين الفقر الذي تعاني منه (بلقيس) والرفاهية التي يتمتع بها الرئيس السابق نشعر بأنتقادها اللاذع. اذ يخبرنا الراوي بأن (بلقيس) نصبت صينية زكريا لـ (يحيا) و((كان البيت قد امحل ولم تجد امه ما تضعه في صينية الزكريا سوى القليل من ورق الياس وابريقه الفخاري القديم، الذي زرعت في فمه حفنه من الشعير))[٦٠] بينما يخبرنا الراوي عن حفلة عيد الميلاد الرئيس السابق ((التفتت بلقيس الى التلفزيون، وفيه وجدوا كيكة عملاقة غرقي بالفستق الاخضر ومصنوعة على شكل شجرة، والاطفال حولها يرتدون ملابس زاهية ويغنون (هابي بيرث داي تو يو .. هابي بيرث داي يا مناضل .. هابي بيث داي تويو) والكيكة تلك المخلوقة العجيبة تجلس في مكان كبير بين الاطفال، الذين يرقصون بينما يحيا ينظر اليهم))[٦١]. وكما فقدت (بلقيس) زوجها في حرب الكويت تفقد ابنها (يحيا) خلال (حرب الخليج الثالثة) لتستمر معاناتها والامها.

اما في روايتيها (حلم وردي فاتح اللون) و (شاي العروس) فنرى ان احداثها تقع ما بعد الحرب الاخيرة (حرب الخليج الثالثة) فلم تتعرض الكاتبة لموضوع الحرب بشكل مباشر ولكنها عالجت ما افرزته هذه الحرب من افكار وتيارات – في غاية الاهمية – اجتاحت المجتمع العراقي بعد الحرب الاخيرة والتي ادت الى زعزعت وشق وحدته فضلاً عن الخراب السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي عم البلاد. ففي روايتها (حلم وردي فاتح اللون) تعود بطلة الرواية من الجبل الاخضر في ليبيا الى العراق بعد سقوط بغداد لتجد نفسها وحيدة بعد ان فر جميع افراد عائلتها الى مصر والاردن وسورية فتظطرها الظروف ان تستأجر بيتاً مدة مؤقته لحين عودة عائلتها ليلتم شملهم من جديد، اذ لا تستطيع العيش وحيدة في بيت

اهلها في منطقة الغزالية لخطورة هذه المنطقة. ومن ثم تعود الى عملها في كلية الزراعة في ابي غريب وهي تروي لنا كل ما يدور حولها من احداث، فهي تسمع بمقتل الطبيب والصيدلي والضابط مثلما يقتل الحلاق وبائع الثلج والخباز – ومنهم من يقتل اكثر من مرة فقد تنهش الكلاب جثته – وتفجير المحلات كما تروي لنا كل ما تشاهده وتلاقيه في طريقها وهي ذاهبة الى الكلية من حواجز كونكريتية وسيطرات، فكأن الكاتبة تعرض لنا فلماً وثائقياً عن يوميات مواطن عراقي بعد سقوط بغداد بأسلوب فني. فقد قدمت لنا الكاتبة صورة حية عن يوميات المواطن العراقي في تلك الفترة التي اعقبت السقوط و ((التي تأخر فيها تشكيل مجلس الحكم تأخراً غير طبيعي بسبب التناحر بين اعضاءه، كان الاحباط قد اخذ يدب بين الناس، والصدمة التي ظنوها عابرة وقابلة للتصحيح تتعمق وتتحول الى صدمات وجاء اليوم المشهود الذي ظهر فيه اقطاب المعارضة السابقة على الشعب العراقي ليطرح كل واحد منهم نفسه على اساس عرقي او طائفي وليعلنوا، وهم يضحكون، يوم سقوط بغداد عيداً وطنياً وعطلة رسمية حدث ذلك بينما الدبابات الامريكية تجوب الشوارع بلا انقطاع وطوابير الوقود تمتد وتمتد وتمتد ...، والسيارات في محطات الوقود، والناس بلا كهرباء ينامون داخل البيوت على بلاط الارض. بحثاً عن لسعة برد اثناء الليل))[٦٢]. ثم تظهر شخصية (ياسر) مع والدته المسيحية (آني) والتي من خلالها سلطت الكاتبة الضوء على الافكار والتيارات التي افرزتها الحرب وبدأت تؤثر على الشباب العراقي وتعرقل مستقبلهم. اذ ياتي (ياسر) وهو حفيد صاحب البيت الذي استأجرته (فادية) مع والدته المسيحية (آني) للاختباء في بيت جده – ظناً منهما بأن البيت لا يزال خالياً – لمطاردة القوات الامريكية له لانه تشاجر مع احد المترجمين واتهمه بالخيانة فقام الاخير بالتبليغ عنه والادعاء بأن (ياسر) قد هدده بالقتل. فيقيمان مع (فادية) وصورت لنا الكاتبة المداهمات المتكررة من الجيش الامريكي لبيت (فادية) بحثاً عن (ياسر) وخشية الام (آني) من ان يلقى القبض على ولدها الوحيد الذي جاءت به من الموصل الى بغداد ويرى الناقد حسين سرمك حسن ان الكاتبة حولت هذه الفاجعة والمعاناة التي تعيشها الكثير من النساء العراقيات الى لالئ سردية مشرقة بالخيبة وايحاءات الفقدان الجسيمة[٦٣]. وبمرور الوقت تنشأ آواصر الحب بين (ياسر) و (فادية) التي تكتشف بأن (ياسر) عازف بيانو ارسلته اكاديمية الفنون في بغداد الى الولايات المتحدة الامريكية للحصول على شهادة الماجستير وكانوا يعدونه لقيادة الفرقة السمفونية ولكنه عاد ليهجر الموسيقى ويترد على الجامع ويقول بأن الموسيقى حرام فقد تحول من عازف بيانو الى متعبد ورع، وتشتكي والدته الى (فادية) ((انا مسيحية وابوه، مسلم، ونحن الاثنين من اهل الموصل وحماي متزوج من كردية ويعيش معها دهوك ... ولا ادري كيف انتهينا الى ان يصبح الدين بيننا مشكلة؟))[٦٤] لقد اصبح الدين بالفعل مشكلة بعد احتلال العراق واصبح الناس يتقاتلون في ما بينهم بأسم الدين ويعطون لانفسهم التبريرات المختلفة وهذا ما خطط له الغازي مسبقاً وما حاولت الكاتبة ابرازه في هذه الرواية، فقد بنت الكاتبة فضاء دعائمه الخراب والموت والدماء من خلال تسليطها الضوء على بشاعة ما يرتكبه المحتل بحق الابرياء وهذا ما نجده في روايتها الاخرى (شاي العروس) فنجد ان اجواء هذه الرواية لا تختلف كثيراً عن اجواء روايتها السابقة (حلم وردي فاتح اللون) فأحداثها ايضاً تدور بعد سقوط بغداد ولا تخلو هذه الرواية ايضاً من مشاهد الخراب والدماء والموت التي شاعت في البلد بعد المحتل. اذ تتحدث الرواية عن طفل اعمى منذ عمر السادسة يبصر فجأة ليرى وجه شاب جميلاً في المرآة وهو وجهه ثم يكتشف بعد ذلك جمال العالم بعينيه بعد ان كان يستكشفه بيديه واذنيه، وشيئاً فشيئاً يصطدم بالواقع فيجد القبح في كل مكان بدل الجمال الذي راه اول مرة فيهتز ايمانه امام الموت البشع للناس. ويذهب الى الجامع ارؤية شيخه الذي كان يعلمه عندما كان صغيراً فيحذره صديقه (عصام) من تكرار ذلك فيجيبه محدود: ((-لا اظنهم سيقتلون رجلاً اعمى بل يقتلون العامي والشامي. وحمداً لله انك لا تحمل اسم عمر او علي))[٦٥]. كما يذهب الى الدير لرؤية اساتذه (ألبير) الذي كان يدرسه الموسيقى. ووحده القدر الذي انجاه من انفجار هائل هز الدير راح ضحيته طفل صغير تمزق الى اشلاء مع سائق التكسي. فتالم (محمود) كثيراً لرؤية هذا المنظر حتى انه اخبر (عصام) بما رأت عيناه ونصحه الاخير بالسفر الى الخارج ((لم تر شيئاً بعد من الدماء والاشلاء. ان الناس تموت بالجملة كل يوم، (...) فقل لي بالله عليك ما ذنب هؤلاء الناس؟ ومن هو الخاطئ السماوات ام الارض؟))[٦٦].

ونلاحظ ان شخصية (محمود) تقترب من شخصية (ياسر) في (حلم وردي فاتح اللون) فـ(محمود) ايضاً شخصية مثقفة برغم فقدان بصره فقد درس في معهد المكفوفين وكانت عمته تقرأ له الجغرافية والتاريخ وعشرات الكتب، كما انه درس الموسيقى الشرقية في المعهد وتعلم العزف على العود واصبح منشداً للاغاني الوطنية، كما ان كليهما يسافران الى الخارج ويصطدمان بتناقضات الغرب.

وفي رواية (عندما تستيقظ الرائحة) لدنى غالي نرى ان احداث الرواية تدور في الدنمارك وفي كوبنهاغن تحديداً الا ان الحرب هي الخلفية التي تقوم عليها الرواية اذ لم تستطيع شخصيات الرواية التخلص من ذكريات الحرب المؤلمة التي كانت تنغص عليهم الاندماج مع العالم الجديد في البلدان التي ذهبوا اليها، فها هي (مروة البصري) تبكي منهارة وهي تستذكر امام الطبيبة النفسية حادثة مقتل اخت (رضا) مع طفليها في السيارة اثر سقوط قذيفة قصدتهم ((بلا انذار فماتوا جميعاً في التاكسي))[٦٧] وهم في طريقهم الى صالة الحفل لحضور عرس (رضا) و (نهلة). هذه الحادثة التي قلبت حياة (رضا) رأساً على عقب فـ(رضا) الذي كان يأمل حتى لحظة تخرجه انتهاء الحرب ((تلك المزحة التي لم يصدقها احد مسخرة))[٦٨] ولكن الحرب تطول وما ان تنتهي تبدأ الاخرى من جديد وكأنها قدر العراقيين الذي لا فرار منه، فذكريات الحرب التي تنهال على كل من (مروة البصري) و (رضا المولاني) تعيقهما عن التفكير في الغد والاستقرار في المنفى، فحين تسأل الطبيبة النفسية الدنماركية (مروى) عن الغد ((الا تفكرين بالغد أبداً؟))[٦٩] تجيبها (مروى البصري) ((وماذا افعل بذلك الوطن الملح، البلد مسقط رأسي، بلد اجدادي جذوري. هل تعرفين هو بحاجة لبعض من التنويع عليه. أود وصفه، رسمه، اعادة تشكيله، نحته لأتخلص من مرارته، من حنقي عليه وازدرائي له، لي!))[٧٠]. فسبب ازدراء (مروى) لهذا البلد يمكن في عدم قدرتها على

نسيانه برغم كل الالام التي تعرضت لها هناك، فهي تصف لنا لحظات الخوف والرعب التي كانت تنتابها مع (نهلة) اثناء قصف الطائرات وهي في البيت في مدينة البصرة ونجد الشئ نفسه في روايتي (المحبوبات) و (التشهي) لعالية ممدوح، فأحداث الروايتين تدور ايضاً خارج العراق إلان الشخصيات في كلتا الروايتين تعاني التأزم النفسي ليس بسبب الاغتراب فقط وانما بسبب ما يجري بالعراق من موت وخراب ودمار فنرى (سهيلة) في (المحبوبات) تتدوهر حالتها الصحية بسبب ما يجري في العراق وتدخل المستشفى فتخبر (انجليك) صديقتها الفرنسية (نادر) عن والدته ((اثناء الحرب، كان بلدكم يضرب من الجميع، حتى من فرسا. نزلت اليها فجراً، وشاهدتها تبكي بصمت، عانقتها وبكيتا معاً في الممر. كانت امك اكثر خجلاً مني لكنها لم تتفوه بكلمة.))[٧١] فـ(سهيلة) تتابع اخبار العراق عن طريق التلفاز والصحف ((اخبار هذا الصباح والذي سبقه لا تتغير. سيضرب البلد ثانية، هكذا بلا مواعيد. يقولون عما قريب،في ما بعد، الان، في اية لحظة. (...) يقول المذيع ليس تماماً بعد. متى، هذا الشهر ديسمبر، في رأس السنة. قبلها))[٧٢] هذا التخوف من موعد الحرب والقلق المستمر الذي تعيشه (سهيلة) هو امر طبيعي لمعرفتها مسبقاً مقدار الكوارث التي تسببها الحروب لمعاصرتها للحروب الماضية التي مرت على العراق والتي بسببها فقدت زوجها الضابط العسكري. اما ابنها (نادر) فيرجع سبب فشل علاقته مع (ليال) اللبنانية الاصل الى الحرب، اذ تخبره (ليال) ((انا هاربة من الحرب وانت قادم منها، الحرب بيننا يا نادر، فلماذا لا تصدق ذلك؟ الامر لا يعنيك ولا يعنيني فقط. نحن نعيش بين الاموات اكثر مما نعيش بين الاحياء))[٧٣] اما في روايتها (التشهي) فنجد (ألف) تحدث (سرمد) عن الحرب الاخيرة (حرب الخليج الثالثة) وما تركه الاحتلال من دمار عن طريق اشرطة التسجيل ((الشقر دخلوا مدينتا. أضافت حتى السود والصفر والسمر الشقر ايضاً. (...) ان القتل هو الوحيد الذي حضر ووضعهم في سلته. يصدقون، فما عليهم الا ان يصدقوا. ذلك هو القدر، ما يقولون عنه بالغاشم))[٧٤] والكاتبة لا تكتفي برصد الخراب المادي للمكان فترصد لنا الخراب النفسي الذي خلفه دخول الجيش الامريكي الى العراق وما حل بمصير البلد وافراده فتخبر (ألف) (سرمد) في اخر صفحة من الرواية بأن ((لا احد يعود للمنازل. لا اطباق تنتظر من يلتهمها. لا عيون تنظر للبعيد بأنتظار احدهم يبتسم يعود او يمر حتى. لا شبابيك تتلألأ ليلاً بضوء الشموع ولا قبلات نسمعها قادمة بأتجاهنا. تعلمنا كيف نبتلع الدموع فنرقبهم وهم يضخون ثلاثة انواع من السموم القاتلة في عروقنا ومع هذا لا يقضي علينا))[٧٥] وبهذا تكون الحرب هي خاتمة الرواية.

الخاتمة

بعد دراستنا لهذه الروايات وجدنا ان اغلب روائيات هذه المرحلة أعطين للحرب صفة الديمومة والاستمرارية وعدم الانقطاع. كما نلاحظ ان اغلب الشخصيات في هذه المرحلة تخيم عليها ملامح الكآبة واليأس فضلاً عن التشأوم والسوداوية، فهي شخصيات مأزومة محبطة، فكرياً ونفسياً تشعر بالضياع وتحاول دائماً البحث عن الاستقرار فليس العيش بعيداً عن الوطن هو وحده المنفى، بل العيش في وطن يحكمه الاستبداد والطغيان هو منفى ايضاً ولعله الأشد قسوةً وهولاً.

الهوامش

١. ينظر العالم الروائي لعالية ممدوح ، وهديل عبد الرزاق احمد ، رسالة الماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ٢٠١٠م ، ص٥٣.
٢. ينظر: الرواية العراقية دراسات نقدية ، د. عمر الطالب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠م ، ص١٨و١٩.
٣. الحرب الديكتاتورية في الرواية العراقية ، نبيل سلمان ، جريدة الاسبوع الادبي ، ع٩٧٨ ، تشرين الاول ، ٢٠٠٥م ، www.awu-dam.org.com وينظر: العالم الروائي لعالية ممدوح ، ص٥٤.
٤. ينظر: العالم الروائي ص٥١و٥٢.
٥. العالم الروائي لعالية ممدوح ، ص٥٣.
٦. ينظر: رواية ما بعد الحب ، هدية حسين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص١٤٠-١٤٨.
٧. ينظر: العالم الروائي لعالية ممدوح ، ص٥٤.
٨. ينظر: العالم الروائي لعالية ممدوح ، ص٥٤.
٩. في الطريق اليهم ، هدية حسين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص٦٩.
١٠. في الطريق اليهم ، ص١١١.
١١. ينظر: في الطريق اليهم ، ص١٠٥-١٠٦-١٠٧ و١١٣ و١١٤.
١٢. الرواية ، ص٥٨.
١٣. ينظر: الرواية ، ص٨٩.
١٤. في الطريق اليهم ، ص١٠٧-١٠٨.
١٥. في الطريق اليهم ، ص٨٥.
١٦. في الطريق اليهم ، ص٧٣.

١٧. نساء العتبات ، هدية حسين ، دار فضاءات للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ص ٩٤.
١٨. الرواية ، ص١٨٣.
١٩. الرواية ، ص١٢٥.
٢٠. الرواية ، ص١٦٤.
٢١. الرواية ، ص١٩٧.
٢٢. الرواية ، ص١٠٧-١٠٨.
٢٣. نساء العتبات ، ص١٦٢.
٢٤. الرواية ، ص٨٢.
٢٥. الرواية ، ص١٦٦.
٢٦. الرواية ، ص٨١.
٢٧. الرواية ، ص٨١.
٢٨. نساء العتبات ، ص٨٢.
٢٩. ينظر: الرواية ، ص١٢٠.
٣٠. الرواية ، ص١٢٠.
٣١. الرواية ، ص ١٩٤.
٣٢. نساء العتبات ، ص١٢٠.
٣٣. الرواية ، ص١٢.
٣٤. الرواية ، ص١٣٢.
٣٥. نساء العتبات ، ص٢١٤١.
٣٦. ما بعد الحب ، ص٦٩.
٣٧. الرواية ، ص١٣.
٣٨. الرواية ، ص٧٩.
٣٩. الرواية ، ص١٣٦.
٤٠. الرواية ، ص٧٩.
٤١. ما بعد الحب ، ص٥٤.
٤٢. الرواية ، ص٤٨.
٤٣. ينظر: الرواية ، ص ٢٢-٢٣-٢٤-٢٥.
٤٤. مطر الله ، هدية حسين ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، توزيع دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ص١٠٨.
٤٥. غايب ، بتول الخضيري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ودار الفارس للنشر والتوزيع ، الاردن ، ط٣ ، ٢٠٠٧م ، ص١٢.
٤٦. الرواية ، ص١٥٢.
٤٧. سواقي القلوب ، انعام كجة جي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص١٥٣.
٤٨. الرواية ، ص١٥٢.
٤٩. الرواية ، ص١٥٣.
٥٠. سواقي القلوب ، ص١٧٤.
٥١. الرواية ، ص١٧٥.
٥٢. الرواية ، ص١٧٥.
٥٣. الرواية ، ص١٧٥.
٥٤. الحفيدة الامريكية ، انعام كجة جي ، دار الجديد ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٩م ، ص١٥١.
٥٥. الرواية ، ص١٥٠.
٥٦. الرواية ، ص١٥٠.
٥٧. الحدود البرية ، ميسلون هادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الاردن ، ط١ ، ص٥٧-٥٨.
٥٨. الرواية ، ص٥٨. وينظر: ص٥٩.
٥٩. نبوءة فرعون ، ميسلون هادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ص٧.
٦٠. الرواية ، ص٢٩.
٦١. نبوءة فرعون ، ص٢٧.

٦٢. حلم وردي فاتح اللون ، ميسلون هادي ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، ص١١٦.
٦٣. ينظر: حلم الشدائد الفاجعة الوردي اللون ، حسين سرمك حسن www.newsaban.com.
٦٤. حلم وردي فاتح اللون ، ص٩٨.
٦٥. شاي العروس ، ميسلون هادي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٠م، ص٦٩.
٦٦. الرواية ، ص١٢٨.
٦٧. عندما تستيقظ الرائحة ، دنى غالي ، دار المدى للثقافة والنشر ، سورية ولبنان ، ط١، ٢٠٠٦م ، ص٨٩.
٦٨. الرواية ، ص٧٢.
٦٩. الرواية ، ص٢٩.
٧٠. الرواية ، ص٢٩.
٧١. المحبوبات ، عالية ممدوح ، دار الساقي ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٣م ، ص١٢٩.
٧٢. الرواية ، ص٢٠٥.
٧٣. الرواية ، ص٢٠١.
٧٤. التشهي ، عالية ممدوح ، دار الاداب ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص٢١٨.
٧٥. الرواية ، ص٢٧٠.
٧٦. غائب طعمة فارمان ادب منفى والحنين الى الوطن ، د. احمد نعمان ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق وبيروت ، ١٩٩٦م ، ص٣٢.

المصادر والمراجع

١. التشهي ، عالية ممدوح ، دار الاداب ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٩.
٢. الحدود البرية ، ميسلون ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الاردن ، ٢٠٠٤.
٣. الحرب والديكتاتورية في الرواية العراقية ، نبيل سلمان ، جريدة الاسبوع الادبي ، www.awu-dam.org.com ع٩٧٨ ، تشرين الاول ، ٢٠٠٥٦.
٤. الحفيدة الامريكية ، انعام كجة جي ، دار الجديد ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٩.
٥. حلم الشدائد الفاجعة الوردي اللون ، حسين سرمك حسن www.hewsabah.com.
٦. حلم وردي فاتح اللون ، ميسلون هادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٥.
٧. سواقي القلوب ، انعام كجة جي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الاردن ، ٢٠٠٥.
٨. شاي العروس ، ميسلون هادي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ط١، ٢٠٠٦.
٩. العالم الروائي لعالية ممدوح ، هديل عبدالرزاق احمد ، رسالة الماجستير ، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠١٠.
١٠. عندما تسقط الرائحة ، دنى غالي ، دار المدى للثقافة والنشر ، سورية ولبنان ، ط١، ٢٠٠٦.
١١. غايب ، بتول الخضيري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان ، ط٣ ، ٢٠٠٣.
١٢. في الطريق اليهم ، هدية حسين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١، ٢٠٠٤.